أبو بكر القاضي

إبراهيم عليه السلام وكلمات الابتلاء

د. أبو بكر القاضي

المجلس الثامن عشر: قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا

abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

قال تعالى : ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الصافات ٨٣]

أي نوح عليه السلام

﴿ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصافات ٨٤-٨٦] أَئِفْكًا (أي كذبا وزورا)

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات ٨٧]

ماذا تعرفون عنه وعن جلاله، وجماله، وكماله، ربوبيته، وألوهيته، ومن ثم ظنكم هذا يترتب على المعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون حسن الظن، وعلى قدر الجهل يكون سوء الظن، ويكون ظن الجاهلية بالله عزّ وجلّ.

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٢﴾﴾ [الصافات ٨٧-٩٢]

الله خلقكم وخلق ما تعملون من أصنام ومن منحوتات؛ كل هذا مخلوق لله عزّ وجلّ، فحق الخالقيّة عليكم أن تعبدوه وحده .

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل ١٧]

﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الصافات ٩٧-٩٨]

﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء ٦٨-٦٩]

كما كان من قلب إبراهيم عليه السلام الحب والوفاء لله وحسن التوكل على الله حتى لم يسأل غير الله، حتى الملك الذي أرسله الله له؛ بل قال حسبي الله ونعم الوكيل أي كافيني الله

ونعم الكافي، ونعم الكفيل، ونعم المولى، ونعم النصير .

لا حول ولا قوة إلا به، لا تحوّل من حال إلى حال، ولا قوّة على فعل وطاعة إلا به عزّ وجلّ.

حسبي الله ونعم الوكيل .

﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ [الأنبياء ٦٩-٧٠]

(فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ) في سورة الأنبياء

أما في سورة الصافات (فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ).

كل من يريد بك كيدا وأنت على طريق دعوتك إلى الله، سيجعلهم الله أخسرين أسفلين، سينصرك عليهم

﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد ٧]

النار أصبحت بردا، ولكن بردا لا يؤذي إبراهيم عليه السلام لأنّ من البرد ما يؤذي فقال : بردا وسلاما على إبراهيم؛ هذا لأنّ ربك مؤمن؛ يُؤَمِنْ أولياءه، يُؤَمِنْ الموحد، يُؤَمِنْ المؤمن

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾

[الأنعام ٨٢]

فعلى قدر التوحيد، على قدر الإيمان يكون الأمن، وعلى قدر نقص الإيمان ونقص التوحيد ووجود الشـــرك في القلب، يكون الخوف، يكون الاضـــطراب، يكون الهلع، يكون القلق

لذلك من أراد السعادة، من أراد الطمأنينة .

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾

[الرعد ٢٨]

الكلّ متربّص، الكلّ منتظر، يقتربون من النّار؛ فإذا هي نار، ينظرون إلى إبراهيم فإذا إبراهيم لا يحترق.

كيف ذلك ؟ كيف يحدث هذا ؟

بل في بعض الآثار الإســـرائيلية أنّ إبراهيم ظلّ ثلاثة ليال في النّار لا يحترق، وكانت أفضل ليال في حياته؛ لأنّ من بذل شيئا لله عوّضه الله خيرا منه.

قال الله : كما في الأثر الإلهي: " ابن آدم .. اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فُتّك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء "

أتظن أن الله يسلمك لأعدائك، أتظن أنّ الله ليس معك كفيلا ووكيلا ونصيرا؛ الله لا يضيّع أولياءه.

يقترب آزر أبو إبراهيم من النّار فإذا هي نار، ينظر إلى ابراهيم لا يحترق فقال آزر : نِعْمَ الرب رَبُك يا إبراهيم، نِعْمَ الرب ربك الذي لم يسـلمك، لم يخذلك، لم يشمت بك عدوك، نصرك وأزّرك نصرا مؤزّرا، أعلاك، جعلنا أخسرين، جعلنا أسـفلين، وآلهتنا، أقام بك علينا الحُجّة ، نِعْمَ رب ربك، نِعْمَ الرب ربك الكريم، الودود، الرحمن، الرحيم، هو نعم الرّب ربّنا.

كل من سلك الطريق يجد من حلاوته، يجد من مذاقاته، يجد من برد هذا السلام .

الناس يحاصرونك بنيران الفتن ونيران الابتلاءات؛ هتضيع، هتؤخذ، سيضيع مستقبلك، هتروح وراء الشمس إن استقمت، والتزمت.

هو لم يضيعني وأنا أعصيه وحَلُمَ عليّ حتى أتوب، أفيضيّعني وأنا أطيعه؟ وأنا مهتد وأنا على طريقه؟

الله لا يضيّع أولياءه، هو يحفظ لهم الأمن، والطمأنينة، والحياة الطيبة، والسعادة، ويرفع عنهم الشقاء وينصرهم.

﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء ٦٩ - ٧٠]

﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات ٩٨]